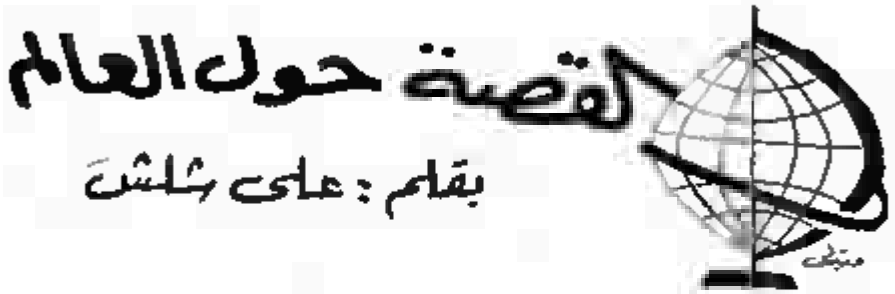

هل يستمر عام الرواية

في العدد الاول من هذه المجلة عرضنا للمؤتمر الضخم الذى شهدته مدينة ليبتسجراد في أغسطس ١٩٦٣ ، ونظمته جماعة الكتاب الاوربيين حول موضوع «الرواية المعاصرة» .

وقد أثار هذا المؤتمر الاول من نوعه العديد من المساجلات والمناقشات لا تزال تتردد بين حين وآخر على امتداد القارة الاوربية ، رغم مرور أكثر من عام على انتهاء المؤتمر .

وقد نشرت مجلة (الادب السوفييتى) تحقيقا حول المؤتمر جعلت عنوانه : « عام الرواية لايزال متصلا » استهلته بقولها ان الكتاب من مختلف الأمم والمعتقدات يجمعون على تسمية العام الماضى ـ ١٩٦٣ ـ بعام الرواية ، ثم عرضت لبعض التعقيبات التى لا تزال تنشرها الصحف السوفييتية والأوربية بأقلام كتابها ونقادها ، فقد كتب الناقد السوفييتى «ايفان أنيسيموف» مدير معهد جوركى للأدب العالمى ، يقول :

كان الموضوع الذى تناوله النقاش هو الرواية المعاصرة ، وبالطبع كان من الامور التى تستحق القاء الضوء عليها أنه لم يكن ثمة فروق فى معالجة الرواية كشكل فنى فحسب ، ولكن كانت ثمة فروق أيضا فى الأهداف التى يسعى اليها الكتاب أنفسهم فقد اشاع ممثلو الأدب الاشتراكى مفهوما عاما مقنعا حول وظيفة الرواية كشكل فنى مقدر عليه أن يلعب دورا فى خلق قيم انسانية واجتماعية جديدة ، وكانت الرواية فى نظرهم أداة قادرة على أن تضم مافى الكلمة من معانى ادبية .

وعلى النقيض ذاتها الى مفهوم مخالف .. يوحى بأن الرواية فقدت ارتباطاتها بالمجتمع وانها لايمكن أن تعكس شيئا سوى طابع الانحطاط الروحى الذى يسود العالم البرجوازى المعاصر .

ولعلي أقول ، دون ما خوف من استخدام الألفاظ الطنانة ، ان السعي وراء رواية تصور الوفاق الانساني وشموله قد وقف وجها لوجه امام الحث على خلق رواية تصور الانحطاط والتنافر .

وكتب الشاعر والكاتب الاوكراني ميكولا بازهان تحت عنوان « لن ينقطع الحوار » ، فاید فكرة التعاون الدولي بين الكتاب في السعي وراء حلول لمسائل عالم الجمال ، ودلل على أن المؤتمر قد اظهران تنمية النقاش وتطويره ليسا ممكنين فحسب ، ولكنهما اساسيان ، وأن النقاش في حد ذاته كان مفيدا وينبغي أن يستمر .

وكتبت الناقدة السوفييتية تامارا بالاشوفا تحت عنوان : « مناقشات حول الرواية الجديدة » تتساءل عن جوهر التجديد الذي اضافته المدرسة الفرنسية في الرواية الى حصيلة التراث الروائي العالمي ، وحاولت في مقالها هذا أن تحلل الأسس التي قامت عليها هذه المدرسة ، وكان مما قالته :

« ان الصراع المتساوي بين الفرد والعالم الذي تصوره وتضخمه الرواية الجديدة يتكشف عن طريق صرخة جنون عديمة الشكل أو عن طريق وصف قليل الأهمية لبعض النزاعات السوقية التي تحدث في الحياة اليومية » .

ثم تضيف بالاشوفا بان كشف النقاب عن الحياة اليومية ، وتصوير الأنماط العادية من الناس ، مما يلح عليه الروائيون الجدد انما هو اتجاه سيء للرواية ، ذلك لان كشف النقاب ليس معناه النقل الحرفي أو التسجيل ، ولكنه يعني التحليل والبحث عن الجذور والأسباب وتقول بالاشوفا :

« ان الروائيين الجدد يقولون بان الخطأ الاساسي للأحداث بالنسبة للروائي هو النفس ، والحق انهم يفضلون ان يختبروا حالة الفرد النفسية في ايقاعاتها اليومية أكثر مما يفضلون اختبارها في لحظات الأزمات الأخلاقية أو الايديولوجية ، غير ان هذه المهمة التي أخذوها على عاتقهم تتعدم أهميتها لو صح ان تكشف نفس البطل بالوانها الحقيقية في مواجهة الستار الخلفي للظروف والحالات اليومية » . وفي الوقت نفسه كثيرا ما تتدرج الرواية الجديدة بدرجات رهيبة من التجارب النفسية الى الوصف الممل للدوافع الغرائزية ، وبالتالي تصبح مجموعة من الاستعارات والكنايات لعالم سخيف عوامه الموت .

واختتمت بالاشوفا مقالها بتأمل التناقضات بين النظرية الجمالية والممارسة الابداعية للرواية الجديدة التي أصبحت اليوم في فرنسا اسما لمدرسة قائمة بذاتها ، يحتدم حولها الكتاب والنقاد ، فمن رأيها ـ أي الناقدة السوفييتية ـ ان هذه المدرسة مهددة بعدوى خطيرة . ذلك لان الشكل لديها يحظى بالأهمية العظمى على حساب دلالة المضمون الحقيقي ، اذ نرى بين الشكل والمضمون فيها صراعا مريرا بدلا من ان

نرى اتساقا وتوافقا ، وهو صراع يستسلم فيه الفكره ويسوده التحرره الشكلية اما مستقبل هذه المدرسة فمن رأى الناقده انه مرهون بقدرتها على الاختيار ، فاما ابتكار مصطنع واما ابتكار حقيقي ، ولا وسط بينهما .

ونشرت الباحثة **تامارا موتيليفا** دراسة بعنوان «**مناقشات حول الرواية**» عالجت فيها قضية التراث الروائي ، وافردت جانبا كبيرا منها لتحليل اعمال الروائيين مارسيل بروست الفرنسي وجيمس جويس الايرلندي وفرانز كافكا التشيكي ، باعتبار ان ثلاثتهم خطوا في المؤتمر بثقة آباء الرواية المعاصرة واصحاب الطريق الجديدة في الأدب المعاصر وقد اختصت موتيليفا على هذا اللقب وأثبتت أن الثلاثة لايلتقون في صفة معينة بقدر ما يحملون اسلوبا وفهما ، شكلا ومضمونا ، بالاضافه الى انهم لم يكونوا يعبرون في أعمالهم عن مواقفهم من المجتمع تعبيرا يعتد به : « **فكل منهم عبر بطريقته الخاصة عن فلسفة عصيرة تستمد أساسها من اعمال خصومهم الروس الذين ينتمون للمدرسة المنحطة ، بما حاولوا به من الحاح على حسة العالم ، وقوة الشر التي لاتغلب ، ووحدة الانسان التي لاشفاء منها** » ذلك لان بروست مثلا حاول أن يقدم تحليلا وتفصيلا لعملية الصراع النفسي واهتزازات الدوافع المحطمة في الروح الرقيقة النقية ، لكن ذاتيته المفرطة أفقرت وشوهت الى حد ما صورة الحياة التي خلقها ، في حين ان جويس في روايته المعروفة «عوليس» ناشد العالم المختنق المحدود الذي تعيش فيه الطبقات المتوسطة الصغيرة من مارق افكار ابطاله الخفية ، ومن تصرفاتهم ، ومن أسلوبهم في النظر الى العالم ، «عبر عن مايثيره الوجود البدائي من اشمئزاز يظهر كوجود يثير الاشمئزاز في مجموعه » . أما كافكا الذي تنتمي شخصياته لعالم المحرومين والمستضعفين فان عنصر النقد الاجتماعي يظهر بوضوح في هذه الشخصيات رغم النظرة الصوفية التي تسيطر عليها .

وتضيف موتيليفا بان فلسفة العزلة واليأس واستسلام الانسان امام دوافع عدائية انما تعوق كلها ـ في المدى الطويل ـ تحقيق المثل الانسانية التي سلم بها كل المؤتمرين في بيانهم الذي أصدروه عقب المؤتمر ، وأكدوا فيه ضرورة العمل على خلق «حياة جديرة بالانسان» ، ومن ثمة فان الكتاب الروس لا يمكن ان يقبلوا المبادىء التي دعا اليها بروست وجويس وكافكا ، على الرغم من انهم يعترفون بموهبة كل منهم ومكانته في تاريخ الادب ، وتلاحظ الناقده أن تولستوي ودستويفسكي لم ينالا في المؤتمر القدر الواجب من الاهتمام ، فتقول :

« **ان تولستوي ودستويفسكي فوق هذا كله هما اللذان شقا الطريق ـ كل حسب طريقته الخاصة بالطبع ـ أمام تلك المكتشفات الفنية التي أثرت الرواية اثراء كبيرا في هذا القرن . ويمكن الرجوع اليهما في كثير من مظاهر التجديد والابتكار في بناء الرواية والتحليل العميق للموضوعات الفلسفية والذهنية داخل نسيج القصة**

ذاته ، وكذلك في النفاذ الجريء الى افكار الانسان المحبوءة والتصوير الواقعي لحركات اللاشعور .. وقد كان المونولوج الداخلي في جميع اشكاله المتعددة الاسلوب ، بما فيها «تيار الشعور» .. حيلة مبتكرة استخدمها تولستوي على نطاق واسع لأول مرة . . وليس بروست أو جويس ، وكذلك كان العالم الروحي للمحرومين والمستضعفين ـ بما فيه اكثر مظاهر التمزق دهاء في المعاناة الانسانية ـ الذي امتلكه دستويفسكي عن اصالة اكثر مما هو ينتمي لكافكا ، غير أن الواقعيين الروس الكبار لم يقفروا صوره الانسان ، على خلاف ما فعله المعاصرون ، عن طريق عزله عن البيئة الاجتماعية ، فعلى العكس من هذا نجد أن تصوير الانسان في كل مظاهر التعقيد التي تطبع ظروفه الاجتماعية وعلاقاته وخصوماته ومغرياته ومنفراته ، انما أصبح في أيديهم وسيلة لتحقيق فهم ذكي وعميق للفرد لا يحلم به الكتاب اليوم ، وفي الوقت نفسه ساهمت الدراسة المتفحصة ـ من الناحيتين الروحية والعاطفية ـ لحياة الناس الذين ينتمون لطبقات وفئات مختلفة من المجتمع في خلق البناء المرسوم بدقة درامية ، وكذلك في تقطيع صورة المجتمع او البلد او العصر المحدد تقطيعا تركيبيا واسع المدى » .

غير أن ثمة تأثيرا آخر لايمكن تجاهله عند الحديث عن الرواية في القرن العشرين وهو تأثير جوركي الذي اعترف بفضله اعلام الرواية في هذا القرن من أمثال رومان رولان وبرنارد شو وتوماس مان وباربوس وبرخت ، لكن كيف يمكن أن يتحدث الكتاب الفرنسيون ـ كما تقول موتيليفا ـ عن مصادر الرواية المعاصرة وتراثها في حدود ثلاثة اسماء فحسب ، متجاهلين التركة الغنية للأدب الغربي ؟ لقد نسي هؤلاء الكتاب اعضاء مدرسة الرواية الجديدة وهم في عمرة حماستهم أن يذكروا فضل رومان رولان مثلا أو مارتان دوجار ، أو توماس مان الذي مروا على اسمه مرور الكرام ، رغم انه بالاشتراك مع رولان قد رفض المفهوم الفيتشوي (نسبة الى نيتشه) الذي يرى في الانسان وحشا والمفهوم المنحط الذي يرى في الانسان حشرة ، وبالتالي فاصبت أعمالها بالتعاطف مع الانسان .

ولم ينس موتيليفا أن تفصل القول في قضية العلاقة بين الواقع والخيال ، وهي قضية أثارت جدلا كبيرا في المؤتمر . فقد أكدت خطأ السعي وراء الأمانة الشيهة بالمرآة بالنسبة لموقف العمل الفني من الحياة ، ورفضت احلال الأحلام المزعجة والخداع القائم محل الواقع الحي كما حدث في روايات كافكا . كما أثبتت ريادة نسبة الروايات التي تعتمد على الحقائق او الاحداث التاريخية أو وقائع الحياة ذاتها ، وهي ريادة اثبتت وجودها في هذا القرن .

وقد حدث أن أثار الروائي الايطالي **جويدو بيوفيني** في هذا المؤتمر وجهة نظر مؤداها أن حياتنا الحالية أكثر تجريدا من حياة آبائنا واجدادنا ، وان الناس الذين نلتقي بهم « **اقل واقعية واكثر امتزاجا بالمفاهيم والآراء .. لدرجة يمكن معها ان نعد**

ايدينا فتلمس هذه الآراء والافكار» . ولكن موتيليفا عارضت هذا الرأي ، وأكدت على الروائي الغربي رؤيته للفرد بمعزل عن طروحه وارتباطاته التاريخية والاجتماعية والسياسية ، وأوضحت أن **«المفاهيم التعميمية التي تنتشر في عصرنا مثل التقدم ، والتاخر ، والشعب ، والامة ، والسلام ، والحرب ، ينبغي أن تتشخص في أفراد حقيقيين»** . وان قضية موقف الروائي من العالم المعاصر ، لاتنفصل عن قضية مسئوليه الكاتب وواجبه المدني ، وان اليأس وخيبة الامل لايمكن أن يكونا بحال ، سمة الانسان المعاصر كما تراها الروايات في العالم الغربي .

وأنهت الباحثة السوفيتية دراستها بالتشديد على مسئولية الكاتب ازاء مجتمعه وضرورة تمعنه في دراسة الواقع وتحليله ، والا فشل في اقناع قرائه ، وعجز عن مواجهة نفسه في النهاية .

ومن جمهورية جورجيا كتب الناقد **فلاديمير ماشافارياني** تحت عنوان **« عصر الرواية»** ، فاوضح جهود وملامح الكتاب من الواقعيين الاشتراكيين في تطوير الرواية والارتقاء بها مكانة تحقق ماقاله جوركي من أن الأدب هو «دراسة الانسان» .

وقد اختتمت مجلة الأدب السوفييتي هذا التحقيق بالاشارة الى بعض الاخطاء التي وقع فيها اثنان من أنصار الرواية الجديدة في فرنسا ، وهما الان روب جرييه رعيمها وبوتار نحو أحد دعاتها ، وقد حمل الاثنان على نقد الكتاب الروس لمدرستهم واتهما المؤتمر بانه خاص في مسائل السياسة بدل مسائل الأدب والرواية وأبديا أسفهما على استخدام وملائهم الروس لكلمات مثل «منحط» و «غير انساني» في وصف ادب الفرنسيين المعاصرين من دعاة الرواية الجديدة ، لكن المجلة فندت هذه الاتهامات وأوضحت في نهاية تحقيقها مسئولية الروائيين الروس ومعاصرهم ، ورحبت بالتجديد في الشكل ، لكنها رفضت أن يكون حكرا لجماعة دون اخرى . ولكن **الأصح ان يكون جوهر التجديد هو تجويد المعرفة بالحياة وتطوير التعبير الفني عن هذه المعرفة ، عن طريق التصوير الجمالي للواقع وللانسان ومشاكله ، على أن يكون هذا كله نابعا من التفكير في الغاية والهدف ، وبذلك يمكن للرواية أن تساهم في خلق « الحياة الجديرة بالانسان » في هذا العصر .**

زوايا وأنباء :

• **اصدرت** دار دنويل الباريسية في الشهر الماضي اول رواية بالفرنسية للقاص الجزائري **رضا فلكي ، وتدور حوادثها حول الحرب الجزائرية وكفاح الجزائر من اجل استقلالها . وقد امتدح ناقد صحيفة « لانوفل أوبزرفاتير » اسلوب الكاتب الجزائري الذي لم يسبق له ان نشر شيئا من انتاجه الروائي ، كذلك صدرت عن دار جاليمار رواية للكاتب الفرنسي جان ملو بعنوان « الأوهام الناعسة » ، واخرى عن**

دار « دوسويل » للكاتب كاميل بورنكيل بعنوان « البحيرة » . وكلاهما يتناولان موضوعات اجتماعية .

• مات الروائي الأمريكي **جاك لندن** عام ١٩١٦ ، وترك عددا من الروايات التي تدور معظمها حول المغامرات ، ومنها رواية كتبها عام ١٩١١ بعنوان « **مكتب الاغتيال ليمتد** » ، لكنه مات دون أن يتمها . وفي الشهر الماضي صدرت الرواية عن دار **اندريه دويتشي** بلندن كاملة بعد تولي الكاتب **روبرت . ل . فش** اكمالها . وتدور الرواية حول مكتب للاجرام والقتل ، مركزه الرئيسي في نيويورك وله ممثلون في جميع أنحاء أمريكا ، يتولون ارهاق الأرواح بالعمولة !

• **ليلة في لشبونة** .. عنوان الرواية الجديدة للكاتب الألماني المعروف **اريك ماريا ريمارك** الذي اشتهر بقصته « **وقت للحب ووقت للحرب** » .. صدرت مترجمة بالانجليزية عن دار هتشنسون اللندنية . وتدور حوادثها في مدينة لشبونة عام ١٩٤٢ حيث يلتقي هناك اثنان من اللاجئين الألمان ، فيعرض أولهما — ويدعى جوزيف — على الثاني تذكرتي سفر بالباخرة الى أمريكا له ولزوجته ان هو انصت لقصته مع النازية . وقبل الثاني الصفقة بينما زوجته تنتظره في مكان آخر بالمدينة . ومن ثم تبدأ «الليلة» ، ومنها قصة حياة جوزيف وفراره من الألمان وسفره الى باريس وحصوله على جواز سفر من رجل كان يحتضر ، وسفره الى المانيا لانقاذ زوجته ثم تحوله في أوربا ووعاء الزوجة بالسرطان ، واستقراره في البرتغال ، ثم تحويل جواز سفره وأوراقه التي ورثها من الرجل الميت الى اللاجيء المستمع . وبعد ذلك يختفي الراوي ويبقى المستمع الذي يسافر الى أمريكا حيث طلقته زوجته بعد ستة أشهر من وصولهما !

• **آخر رواية للكاتبة الانجليزية ايريس مردوخ عنوانها « الفتاة الايطالية » .. صدرت عن دار « شاتو ووندوس » .. واعتبرها النقاد أكثر روايات عام ١٩٦٤ اثارة. والجدير بالذكر أن ايريس ظلت تعمل الى عهد قريب مدرسة للفلسفة بالجامعة ثم استقالت لتتفرغ للكتابة . وقد صرحت مؤخرا بأنها تفضل روايات القرن الماضي على روايات هذا القرن .**

• **ظهر** في باريس كتاب جديد للكاتبة الروائية **سيمون دي بوفوار** بعنوان « **موت هادئ للغاية** » نشرته دار جاليمار . وتحكي فيه قصة أمها مدام فرانسوار دي بوفوار التي كان لها تأثير كبير عليها .

• **رشحت بعض الدوائر الأدبية الانجليزية كاتبين افريقيين لنيل جائزة نوبل هذا العام ، وهما قصاصان من نيجيريا ، أولهما شنوا أشيب وله ٥ روايات عدا قصصه القصيرة ، والثاني اموس توتولا وله ٥ روايات ايضا . ومما يذكر ان الكاتبين يلحان في أعمالهما على الأدب الشعبي في بلادهما ، وخاصة الأساطير التي يكثران منها مع التصرف في دلالتها .**

• تعد القصص العلمية في انجلترا جنسا أدبيا متميزا له قراؤه ومبدعوه . وقد صدرت في الشهر الماضي عن دار « **فابروفابر** » مجموعة جديدة من هذا اللون القصصي ، قدم لها الناقد بريان الديس بمقدمة تحليلية مستفيضة . وقد ذكر فيها ان عمل القصص العلمية ليس التنبؤ بقدر ما هو التخيل ، وانها ان لم تخضع لقواعد القصة العادية وان لم تشمل اناسا عاديين فانها تكون دائما متحجرا .

• **فرانك أوكنور** كاتب قصصي معروف من أصل ايرلندي ، وقد اشتهر في القصة القصيرة ، حتى **قارنه الشاعر الايرلندي ويليم بتلر ييتس بتشيكوف** .. أصدرت له دار ماكميلان مجموعة جديدة من قصار القصص بعنوان «**المجموعة الثانية**» .

• **اشتهر الأديب البرازيلي المعروف جورج امادو في ميدان الشعر** ، وعد واحد من الشعراء الواقعيين الكبار ، لكن له محاولات في القصة والرواية ، آخرها رواية بعنوان « **الوطن هو البحار** » ترجمت الى الانجليزية ونشرتها دار « شاتو ووينـدوس » **تدور الرواية** حول رجل فاسد **يعيش على خياله** وذكرياته يضطر الى **قبول مركز قبطان سفينة بعد أن ينجح في اثارة بحارتها الى صف انتصاراته الكاذبة في الماضي** .

• صدر في موسكو كتابان هامان تناولا حياة وفن الروائي الكبير فيودو دستويفسكي أولهما بعنوان « (مشاكل الفن لدى دستويفسكي) من تأليف الباحث ميخائيل باختين ،وهو طبعة ثانية مزيدة لكتاب اصدره المؤلف قبل ثلاثين عاما ، ويعتبر من أهم المراجع لادب دستويفسكي . والكتاب الثاني ترجمة جديدة لرواية مؤلف «الأخوة كرامازوف » من تأليف « ليونيد جروسمان » .